مراحل ترجمة القرآن الكريم
أنواعها، أهدافها، أسباب أخطائها

د. محمد بهاء الدين حسين أحمد(*)

تلخيص

إن موضوع ترجمة القرآن الكريم من الموضوعات الهامة في "الدراسات القرآنية"وذلك لتعلقها بكتاب الله تعالى "المعجز" بمعناه وبلفظه ، ومما يزيد هذا الموضوع أهمية وخطورة أن كثيراً من الناس وفي مراحل تاريخية مختلفة تصدو لترجمة القرآن ، وكان من بينهم من يحمل عداوة للإسلام متخذاً ترجمة القرآن وسيلة لتشويه صورته، كما وكان من بينهم من يحمل حباً له وإنصافاً فكان ما كان أن وقعت أخطاء كثيرة بقصد أو بغير قصد في تلك الترجمات.

لذا تأتي هذه الدراسة ملقية نظرة عامة على مراحل ترجمة القرآن الكريم وتاريخ البدء بها في الشرق والغرب والهدف منها وعدد اللغات التي ترجم إليها، ، والأسباب التي أوقعت المترجمين في أخطاء الترجمة مع ذكر نماذج منها أثناء ترجمة آيات قرآنية. ومن الله التوفيق.

(*) أستاذ مشارك في قسم الدراسات القرآنية والحديثية الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

المحاولات الأولى لترجمة القرآن الكريم

لا يعرف على وجه التحديد من أول مترجم للقرآن الكريم؟ ومتى كان ذلك؟ ولا أين؟، لكن من المؤكد أن محاولات جرت في وقت مبكر لترجمة بعض آياته نتيجة لظهور الإسلام كدين له كتاب ولو في نطاق محدود، .

أما الذي وصلنا عن أقدم ترجمة له فهو ما تشير له بعض المصادر من أن القرآن قد ترجم في عهد هشام بن عبد الملك إلى اللغة السريانية، ، ويوجد في متحف لندن المجموعة الخطية التي وهبها "أدوار كاريوري" في خمسين ألف مجلد، وتشتمل على ترجمة قديمة للقرآن منذ 690 م وبها آيات كاملة ليست من القرآن [1].

يقول أحد الباحثين في هذا الموضوع: بيدو أن بعض من ترجم شيئا من آيات القرآن من غير المسلمين كان من السريان، ويقول نقلاً عن الأستاذ الدكتور محمد حميد الله: إن في مكتبة "مانشستر" مخطوطاً فيه ترجمة هذه الآيات، وإن واضع الترجمة هو بارصليبي المعاصر للحجاج بن يوسف، ويضيف أن في متحف لندن مجموعة من المخطوطات باللغة السريانية تعود إلى عهد خلافة هشام بن عبد الملك، وفيها بعض آيات القرآن الكريم مترجمة إلى هذه اللغة [2] .

يقول "فيليب دو طرازي" : إن ابن الصليبي مطران ديار بكر "ت 1171م" نقل في القرن الثاني عشر إلى اللسان السرياني آيات جمة من القرآن الكريم ضمها في مؤلف خاص انطوى على "30" فصلاً في "144" صفحة "كتاب الجدل" وهو مخطوط في مكتبة بطريركية السريان ببيروت. وقال: اطلعنا على ترجمة سريانية للقرآن كاملة، ويتبادر إلى الظن أن مترجم تلك النسخة القرآنية العريقة هو باسل الرها الذي كان من أبرع كتاب الحقبة وأبلغهم، وقد افتلتت هذه المخطوطة النادرة من نكبة هائلة اجتاحت مدينة الرها وأهلهـــا

عام 1145م يوم احتلها "زنكي" ملك الموصل "542 – 591هـ"[1] .

أما المستشرق "بلاشير" فتطرق إلى موضوع ترجمة القرآن من قبل الطوائف المسيحية الساكنة في مصر وسوريا وفلسطين، ورجال الدين في الأراضي البيزنطية في العهود المبكرة قائلا: "بالنسبة لهؤلاء المسيحيين لم تلزمهم الضرورة أن يحصلوا على ترجمة ولو تكييفاً على الأقل للنص القرآني بكامله أو لبعض أجزائه، وبقي هذا الوضع مستمراً حتى الفتح العثماني وما بعده"[2].

يقول بلاشيرلم يترجم هؤلاء لأن هذه الطوائف كانت على اتصال بالدولة الإسلامية وتعرف محتوى القرآن وما فيه من تعاليم[3].

---

[1] انظر: المستشرقون والإسلام، زكريا هامش، ص 178.

[2] المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، د: البنداق ص97

[1] المصدر السابق ص 97 – 98.

[2] القرآن نـزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره/ ريجيس بلا شير ص 13.

[3] المصدر السابق، ص 12.

وعن حالة رجال الدين في الأراضي البيزنطية بالنسبة إلى ترجمة القرآن الكريم يقول بلاشير: "أما حالة رجال الدين واللاهوتيين المقيمين في الأراضي البيزنطية، فيجب أن تكون مختلفة لأن جهلهم اللغة العربية قد منع عنهم كل اتصال مباشر بالرسالة القرآنية، إنا لا نرد افتراض وضع ترجمة كاملة، ولكن هذا الافتراض ليس بلازم ، لأن انتباه المفكرين البيزنطيين قد تركز في الحالات التي نشأت بين الإسلام والمسيحية منذ القرن الثامن على بعض النقاط الأساسية كالأمور المتعلقة بأقانيم المسيح وبشخصية مريم، وبالأخلاقيات الجنسية، وعدة معجزات ترد إلى محمد، فحيال هذه النقاط كلها، كان يمكن إذن للاطلاع الشفهي، مع ترجمة المقاطع القرآنية التي تعالج هذه المواضع المختلفة أو بالشرح المطول لها، أن يرضي فضول الجدليين البزنطيين، ويحثهم كذلك على التعمق في هذه الموضوعات، وهو تعمق ربما لم يكن بالضرورة، من شأنه أن يدفعهم إلى ترجمة كاملة، ولكن إلى ترجمة مقصودة إذ ذاك لذاتها [1] .

هكذا يبدو أن كل ما ورد في كلام "بلاشير" السابق قائم أساساً على التخمين والتكهن وبالتالي ليس له ما يؤيده ، لذا لا يمكن الجزم بعدم وجود ترجمات للقرآن الكريم لدى هؤلاء في تلك العهود .

المحاولات الأولى لترجمة القرآن في أوربا:

ذهب بعض الباحثين إلى القول: بأن محاولات كثيرة قد ظهرت لنقل القرآن الكريم قبل أول ترجمة أوربية له عام 1143م، كما أشارت إلى ذلك بعض الدراسات، فمنذ فتح الأندلس سنة 92هـ والرهبان الغربيون بوجه خاص كانوا يندفعون إلى تلك البلاد التي أصبحت إسلامية بدوافع دينية لدراسة الإسلام والوقوف على حقيقة الكتاب الرئيسي في الدين المنتشر في تلك البلاد كمحاولة منهم في وضع أيديهم على ثغرات في القرآن أملاً في الحد من انتشار الإسلام السريع، وصد الناس عن اعتناقه، وذلك عن طريق كشف اللثام عن تلك الثغرات المزعومة الواردة في القرآن الكريم.

وقد كان من طلائع هؤلاء الرهبان الأول: جربر دي أورالياك "Jerber de Oraliac" الذي تم انتخابه حبراً أعظم باسم سلفستر الثاني سنة 999م، وكان هذا من أوسع الرهبان اطلاعاً على العربية التي ترجم منها بعض الكتب إلى اللاتينية، ومنهم كذلك قسطنطين الأفريقي سنة 1078م.

ومنهم يايرل فينيرابل "Pierrele Venerable" أو بيتر "المبجل" "Peter the venerable" ومنهم: روبرت أوف تشستر الذي قام بالترجمة اللاتينية التي أشرف عليها بيتر المبجل. ومنهم كذلك هرمان الدماشي الدلماطي "Hermann Alemanus" الذي ساعد في إخراج أول ترجمة كاملة للقرآن الكريم إلى اللاتينية تحت إشراف بيتر المبجل [1] .

ويتحدث بلاشير عن ترجمة القرآن في العهود المبكرة في الغرب قائلاً:

أما في الغرب وعلى وجه الخصوص في طليطلة التي عادت مسيحية منذ سنة 1085م فقد اتخذت العلوم القرآنية في الأوساط الكنسية طابعاً إن لم يكن مختلفاً فعلى الأقل متميزاً جداً نتيجة للعداء الذي كان قائماً بين المسيحيين الأسبان وبين المقاطعات الجنوبية لشبه الجزيرة الإسبانية حيث كانت الثقافة والتمدن الغربي، ومن المرجح أنه تحت تأثير روما والبابا

---

[1] المصدر السابق ص 13- 14.

[1] انظر: مجلة كلية أصول الدين، بحث د. أبو فراخ، العدد الرابع ص 41 وما بعدها.

راودت بيتر بعد زيارة له إلى إسبانيا بين السنتين 1141-1143م فكرة تكليف روبير درويتين بترجمة القرآن إلى اللاتينية. هذا ما تثبته الرسالة التي وجهها بيتر المحترم إلى القديس برنار مرفقة بنسخة من الترجمة التي كانت قد أعدت.

ثم يقول بلاشير: ولا تبدو الترجمة الطليطلية للقرآن بوجه من الوجوه أنها كانت ترجمة أمينة وكاملة للنص [2].

المصادر المعتمدة الأولى في الدراسات المبكرة للقرآن الكريم

كان اعتماد الغربيين في دراساتهم المبكرة للقرآن الكريم على مصدرين رئيسين:

أحدهما: السرد الشفهي.

ثانيهما: ترجمة بعض الآيات القرآنية والشروح التي علقت عليها.. وظل هذا الوضع حتى جاء القس نيكاتس البيزنطي والراهب برثليموس الرهاوي في القرن التاسع الميلادي، فأدركا ضآلة المعلومات عن الإسلام مما جعلهما يشعران بضرورة الاطلاع عليها من نص القرآن نفسه. فاتسعت بذلك دائرة الاتصال بالقرآن الكريم، وأصبحت معرفة القرن التاسع الميلادي أكثر من سابقه على أنه لم تظهر –بعد- ترجمة كاملة للقرآن الكريم [1] .

الترجمة اللاتينية الأولى:

أول وأقدم ترجمة كاملة للقرآن الكريم هي التي دعا إليها ورعاها الفرنسي الأصل "بيتر المحترم" رئيس ديركلوني، وتولاها بيتر الطليطلي وهرمن الدماشي، وروبرت كينت بمعاونة عربي مسلم يدعى "محمد" ولا يعرف له لقب ولا كنية، ولا أي اسم آخر. وراجع الترجمة اللاتينية بيير دي بواتييه، وتمت هذه الترجمة في سنة 1143م. وطبعت في بال بـ "سويسرا" سنة 1543م وطبعت في بال ثانية أيضاً سنة 1550م، والذي قام بنشر هذه الترجمة اللاتينية هو ثيوذور بيبلياندر، وكان لا هوتياً من زيورخ في "سويسرا"[2].

أضواء على ترجمة بيتر "المحترم ":

لقد كان المشرف على هذه الترجمة بيتر المحترم الذي قضى فتره طويلة في دراسة العلوم الإسلامية ثم مضى ينظم الحملات الضارية ضد الإسلام والمسلمين.

أما طبيعة هذه الترجمة وأثرها فقد كانت أثراً عملياً للعقيدة الصليبية المنبثقة عن رغبة شديدة في إزالة كل أثر للقرآن الكريم حتى من أذهان المسلمين أنفسهم، وكانت هذه الترجمة ترجمة خالية تماماً من الأمانة العلمية، وامتلأت بالتزييف والتحريف.. وكثرت فيها الأخطاء، وتعددت فيها مواضع الإضافة والحذف، إنها لم تكن ترجمة أمينة وكاملة للنص كما

---

[2] انظر: القرآن، بلاشير ص14 وما بعدها.

[1] انظر: مجلة كلية أصول الدين، العدد الرابع، ص 43 وما بعدها.

[2] انظر: موسوعة المستشرقين، د. بدوي ص307، ومجلة كلية أصول الدين، العدد الرابع ص 44.

يقول المستشرق بلاشير، ويقول عنها المستشرق آربري: بالرغم من امتلاء هذه الترجمة بالأكاذيب وسوء الفهم فإنها كانت الأساس الذي قامت عليها الترجمات الأوربية المبكرة في الأسلوب الذي استخدمته[1].

يتحدث الدكتور عبد الرحمن بدوي عن هذه الترجمة فيصفها بأنها أقرب إلى التلخيص الموسع منها إلى الترجمة، فهي لا تلتزم بالنص دقة وحرفية، ولا تلتزم بترتيب الجمل في الأصل العربي، وإنما تستخلص المعنى العام في أجزاء السورة الواحدة، ثم تعبر عن هذا بترتيب من عند المترجم. ورغم هذا العيب العام والأخطاء الجزئية في فهم بعض الآيات، فإن هذه الترجمة بوصفها أول ترجمة للقرآن إلى لغة أجنبية تعد إنجازاً مهماً، وصارت أصلاً لترجمات عديدة فيما بعد.[2].

لقد انتشرت الترجمة اللاتينية السابقة انتشاراً سريعاً بين الأوربيين، فكانت هي الأصل الذي اعتمدته الترجمات الأوربية الحديثة كلها، فنقلته مع ما فيه من أخطاء وأكاذيب وافتراءات وتشويه متعمد إلى ألسنتها المتعددة كالإيطالية والألمانية والهولندية والفرنسية والإنجليزية وغيرها. فعلى الرغم من اشتمال هذه الترجمة الأصل على ما اشتملت عليه من تزييف وتحريف لما جاء به القرآن من حقائق في مجال العقيدة والشريعة والأخلاق، فقد جابهت الدوائر الدينية المسيحية هذه الترجمة باتخاذها من مخطوطتها موقفاً حازماً، وهو منعها من الظهور بعد أن اعتبرتها –هذه الدوائر- عاملاً مهماً من شأنه أن يسهل التعريف بالإسلام، وانتشار هذا الدين بدلاً من أن تخدم الهدف الذي سعت إليه الكنيسة أصلاً، وهو محاربة الإسلام كما هو معروف. وبالفعل –وهذا للحقيقة أمر مدهش- فقد ظلت الترجمة المذكورة ضمن مخطوطات الدير ولم تصدر إلا في سنة 1543م أي بعد أربعمائة عام من صدورها حيث قام بطبعها ونشرها ثيو دور بيبليا ندر[1].

ويقول أحد الباحثين: تؤكد المصادر التي بين أيدينا أنه بعد صدور طبعة من هذه الترجمة على يد العالم الإيطالي باغانيني "Paganini" أمر البابا بولس الثالث بإتلافها، ولم تسمح الكنسية بطبع ترجمة القرآن باللاتينية إلا في عهد البابا ألكسندر السابع "1555-1568م" [2].

الترجمة الإيطالية الأولى:

عن ترجمة بيتر المحترم لا عن الأصل العربي للقرآن كما زعم المترجم كذباً قام أريفابيني "Arrivabene" في عام 1547م بترجمة القرآن إلى الإيطالية. وتقع هذه الترجمة في (150) ورقة من القطع المربع [3].

الترجمة الألمانية الأولى:

عن الترجمة الإيطالية الأولى التي أصلها ترجمة بطرس المحترم لا عن الأصل العربي أيضاً تمت الترجمة الألمانية التي قام بها سالومون أشفيجر "Salomon Schweigger" في سنة 1616م وطبعت ثانية في نور بنرج سنة 1623م [4].

---

(1) انظر: مجلة أصول الدين، العد الرابع ص44 وما بعدها.

(2) انظر: موسوعة المستشرقين ص307 وما بعدها.

(1) انظر سيرة الرسول في تصورات العربيين، بفاللمونر ص 27 والمستشرقون وترجمة القرآن ص95 وما بعدها.

(2) انظر: المستشرقون وترجمة القرآن، ص96.

(3) انظر: موسوعة المستشرقين، د. بدوي ص308.

(4) انظر: المصدر السابق ص208 وسيرة الرسول في تصورات اغربيين هامش ص27.

الترجمة الهولندية:

عن الترجمة الألمانية الأولى التي يعود أصلها إلى ترجمة بطرس المحترم تمت ترجمة القرآن إلى اللغة الهولندية سنة 1641م[1].

الترجمة الفرنسية:

أول ترجمة للقرآن إلى الفرنسية هي التي قام بها دورييه "Duryer" سنة 1647م والمترجم كان يعمل قنصلاً لفرنسا في مصر، وكان يتقن اللغة العربية والتركية، وفازت هذه الترجمة بشهرة دائمة رغم كل ما فيها من الشوائب، وقد طبعت عدة مرات على مدى قرن ونصف، وأقبل الناس على قراءتها إقبالاً كبيراً، وترجمت إلى الإنكليزية والهولندية والألمانية[2] .

وقد جاء في كتاب "سيرة الرسول في تصورات الغربيين" في وصف هذا المترجم أنه "لم يكن هذا المستشرق منصفاً للإسلام بأي حال من الأحوال" [3].

ثم قام سافاري "Savary" بعد ذلك بحوالي 136 سنة بإنجاز ترجمة فرنسية أخرى للقرآن ظهرت سنة 1783م، وبذلك قل تأثير ترجمة دورييه السابقة[4] .

الترجمة الإنجليزية عن الأصل العربي مباشرة:

الترجمة الإنجليزية عن الأصل العربي مباشرة هي تلك الترجمة التي قام بها جورج سيل ونشرت في لندن سنة 1734م. وحظيت بانتشار واسع منذ ظهورها حتى اليوم، إذ أعيد طبعها باستمرار وتمت ترجمتها إلى الألمانية[5].

وقد جاء وصف هذه الترجمة في كتاب "سيرة الرسول في تصورات الغربيين" بأنها اشتملت على حواش ومقدمة عن الدين الإسلامي امتلأت بالإفك واللغو والجرح.[1]

الترجمة الألمانية عن الأصل العربي مباشرة:

أقدم ترجمة من الأصل العربي مباشرة هي التي قام بها الأستاذ في جامعة فرنكفورت ميجرلين "Megerlin" إلى الألمانية، وظهرت سنة 1772م تحت عنوان: الكتاب المقدس التركي "=الإسلامي" أو القرآن، الترجمة الألمانية الأولى عن الأصل العربي. ولقيت تقديراً.

كما قام أيضا بترجمته إلى الألمانية بويزن "Boyson" في هاله بألمانيا عام 1773م، وأعيد طبعها سنة 1775م، ولقيت أيضا تقديراً[2].

---

(1) انظر: موسوعة المستشرقين ص308.

(2) انظر: القرآن، نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره، بلاشير. ص:16 وما بعدها، وسيرة الرسول في تصورات الغربيين، ص:25.

(3) انظر هامش المصدر، ص:5،

(4) انظر: المصدر السابق هامش، ص:25 وموسوعة المستشرقين، د. بروي، ص:309.

(5) انظر: القرآن، بلاشير ص:19. وسيرة الرسول في تصورات الغربيين، ص:28،15، وموسوعة المستشرقين، ص:309.

(1) انظر: المصدر، ص:15-18 وهامش ص:15.

أما القس إبراهام هنكلمان من هامبور فهو أول من تجرأ على نشر النص القرآني بالعربية عام 1694م وذلك بعد إحراق أول طبعة عربية كاملة للقرآن في أوربا عام 1530م في البندقية بأمر البابا وبعد الحظر الذي قرره البابا ألكسندر السابع "1655-1667م" والذي كان يقضي بعدم نشر أو ترجمة القرآن [3].

وهذه الطبعة الألمانية للقرآن الكريم هي التي صاحبت الترجمات الأجنبية فيما بعد. ولقد انـزعج بابا روما من رؤية القرآن وظهوره مطبوعاً بكامله، لذا أشار بجمع نسخه في مدينته وأحرقها في حفل ديني وشهده هو شخصيًّا [4].

يتحدث المستشرق بلاشير عما حصل من نشاط في حركة الترجمة في فترة عصر التنوير "القرن الثامن عشر" في أنحاء مختلفة من أوروبا قائلاً: "وقد راجت الحركة في آوربا الغربية منذ تلك الآونة، فظهرت الترجمات العديدة الكاملة منها والجزئية وفي بعض الأحيان كانت مع الأسف شعراً...." ثم يضيف "أما الترجمات البارعة الشرح لكل من بوزاني في فلورنسا 1955م وهي بالإيطالية و ر. بيل في أبد مبورغ 1939 بالإنكليزية؛ و ج. فرنبه في برشلونة 1963م بالإسبانية فإنها تفوقت ولا شك على كافة الترجمات السالفة الذكر".[1]

ثم قال: "وقد أتيح للعالم الأوربي خلال ثلاثة قرون من الزمن وبفضل هذه التراجم أن يفكر بأنه ملك المفتاح لحديقة سرية كان يحلم بدخولها" [2] .

ومن ترجمات القرآن الحديثة ترجمة لأستاذ علوم الاستشراق في جامعة توبنجن رودي بارت بألمانيا الغربية صدرت في الفترة ما بين 1963 وعام 1966م، والمترجم هو من مشاهير المستشرقين الألمان المعاصرين، وقد اعتكف على ترجمة هذه سنوات طويلة حتى تم إنجازها [3] .

أول ترجمة للقرآن حسب التنـزيل:

ظهرت لأول مرة ترجمة القرآن الكريم حسب التنـزيل، قام بها رودويل "Rev. J.M. Rodweil" سنة 1861م، اتبع فيها هذا المستشرق سبيلاً آخر غير المعهود حيث جعل ترجمته قائمة على الترتيب الزمني حسب نـزول الآيات والسور، فبدأ بآيات (**اقرأ باسم ربك....**) وانتهى بآيات (**اليوم أكملت لكم دينكم...**) .

يبرر هذا المترجم طريقته الجديدة في الترجمة على أنها تلبي حاجة الأوروبيين في قراءة أدب تاريخي للقرآن كي يتابعوا سير الدعوة كما درجت مع الأيام، أما الترتيب المعول عليه فغير صالح لتحقيق هذا الغرض في نظره .

ظهرت هذه الترجمة بهذه الطريقة، وحظيت بتقدير كبير من الدارسين الغربيين فطبعت عدة مرات، ولقد أعجب بها "مرجليوث" إعجاباً شديداً حين قال: إن الإنسان لسعيد وفخور حين يقول: إن رودويل قد قدم واحدة من أعظم التراجم التي ظهرت حتى الآن معنىً وأسلوباً!!.

---

[2] انظر: سيرة الرسول في تصورات الغربيين، ص:28. وموسوعة المستشرقين، د. بروي، ص:310.

[3] انظر: سيرة الرسول في تصورات الغربيين، هامش: ص:29.

[4] انظر: مجلة كلية أصول الدين، العدد الرابع، ص:53. والقرآن: ص:19.

[1] المصدر السابق، ص:19-20.

[2] المصدر السابق، ص:20.

[3] انظر: الإسلام في الفكر الغربي، د. زقزوق، ص:63

لقد كان المترجم نفسه يفتخر بشجاعته الأدبية فهو لا يخشى في الحق لومة لائم، وهو ليس من بين أولئك الذين يكيلون الشتائم للنبي إرضاء لنـزوات اللاهوتيين![1]

يقول الدكتور محمد أحمد أبو فراخ في تعليق له على كلام المترجم رودويل: في الحقيقة إن رودويل ينافق بتلك الأساليب ليظهر جدية استنباطاته واعتمادها على الدراسة العلمية، فأين دراسته العلمية من حقيقة الأمر حينما أقدم فيها على إنكار أن يكون القرآن وحياً من الله تعالى، إضافة إلى أنه أعطى نفسه قدراً كبيراً من الحرية حين أباح لنفسه إعادة ترتيب القرآن من جديد؟! فلماذا يهاجمه اللاهوتيون أو ينكرون عليه صنيعه، وقدروا في ترجمته الأمانة والصدق والإخلاص لمذهبهم؟![2].

ترجمة القرآن شعراً عامياً:

قام الدكتور إدوارد هنري بالمر "Edward Henry Palmer" أستاذ من جامعة كمبردج بإخراج ترجمة للقرآن الكريم في قالب شعري عامي، زعماً منه أن أسلوب القرآن أسلوب بدائي ويجب نقله إلى العامية حتى يفهم، ونشرت هذه الترجمة لأول مرة سنة 1880م وحظيت بالشهرة[3] .

ترجمة المسلمين للقرآن الكريم:

أكد الدكتور محمد أحمد أبو فراخ على أنه لم يقم مسلم بترجمة القرآن الكريم للغات العالمية إلا منذ قرن واحد تقريباً. وذلك عندما أدرك بعض الدارسين المسلمين من غير العرب حاجة أبناء جلدتهم إلى معرفة القرآن الكريم وأحكامه ومعانيه بلغاتهم. وعندما رأوا الفساد الشديد الذي يعم الترجمات التي قام بها المستشرقون والمبشرون، لقد فرض هذا الموقف على هؤلاء الرجال أن يدلوا بدلوهم في هذا الحقل، فكانت الترجمات العديدة التي ظهرت في اللغات المحلية للمسلمين، وفي اللغات العالمية المشهورة التي ظهر الكثير منها في النصف الأول من القرن العشرين.

فكان أول مسلم يضع ترجمة إنكليزية للقرآن الكريم هو الدكتور محمد عبد الحكيم خان سنة 1905م. وكانت أقدم ترجمة أردية هي التي قام بها "شاه عبد القادر" بدلهي سنة 1826م والتي اشتهرت بين المفسرين الهنود، ومنذ ذلك الحين برزت ترجمات كثيرة بالأردية.

أما أول مسلم غربي ترجم القرآن فهو "مارمدوك بكثال" الذي ترجمه إلى الإنكليزية، وظهرت هذه الترجمة لأول مرة سنة 1930م بدون النص العربي وبشروح قليلة جداً.

وترجم إلى البنغالية عام 1938م في حيدر آباد، ثم يقول الدكتور أبو فراخ عن ترجمته هذه: لقد التزم مارمدوك بكثال النص حرفياً وبرع في ذلك براعة فائقة، فكان يقابل النص بالنص بامتياز ووضوح. وقد أخلص في عمله وعلمه إخلاصاً كبيراً أعطاهما من وقته ما هو جدير بتلك الدراسة العظيمة التي يقوم بها، وهذا العمل يظهر بجلاء الفرق الواضح بين المترجم المسلم وغير المسلم.

---

[1] انظر: مجلة كلية أصول الدين، ص:58.

[2] انظر: المصدر السابق، ص:58 وما بعدها.

[3] انظر: المصدر السابق، ص:73 وما بعدها.

فقد نبه مارمدوك على أنه رغم بذل ما في وسعه في ترجمته لكن النتيجة لن تكون "القرآن الكريم" إنها محاولة فقط لتقديم معاني القرآن.

وهناك ترجمات أخرى لمسلمين كترجمة عبد الله يوسف علي مع النص العربي وشروح وتعليقات هامشية طبعت سنة 1934م، وتكرر طبعها فيما بعد، والمترجم متأثر فيها بالترجمة الإنكليزية السالفة الذكر لـ "مارمدوك" المسلم الإنكليزي.

وهناك ترجمة لعبد الحميد صديقي مع النص العربي، واشتملت على شروح وتعليقات، ظهرت هذه الترجمة لأول مرة في باكستان سنة 1977م.

وهناك ترجمة للدكتورين محمد تقي الدين الهلالي، ومحمد محسن خان مع النص العربي بالإنكليزية.

فقد جاءت هذه الترجمات على الرغم مما فيها من قصور إلا أنها جاءت مختلفة عن ترجمات غير المسلمين أسلوباً ومنهجاً، فهي تعبر عن صدق النية والإخلاص لدين الله ولكتابه، وهي بالتالي لا تخرج عن الحقائق التي جاء بها القرآن الكريم في نصه العربي [1].

تعدد اللغات المترجم إليها:

لقد كثرت الترجمات وتعددت اللغات التي ترجم إليها القرآن الكريم حتى بلغت بإحصاء بعض الباحثين مائة وعشرين ترجمة في خمس وثلاثين لغة ما بين شرقية وغربية، وتكرر طبع هذه الترجمات حتى أن ترجمة واحدة هي ترجمة جورج سيل الإنكليزي طبعت أربعاً وثلاثين مرة. وأوفر هذه الترجمات وأكثرها طبعاً هي الترجمات الإنكليزية فالفرنسية فالألمانية فالإيطالية. وهناك خمس ترجمات في كل من اللغتين الفارسية والتركية، وأربع ترجمات باللغة الصينية، وثلاث باللاتينية، واثنتان بالأفغانية وواحدة بالجاوية وأخرى بالأوردية" [2].

أما الدكتور محمد صالح البنداق فيقول عن ذلك: "إن المعلومات الواردة في هذا المجال مجال ترجمات القرآن إلى اللغات الأجنبية ليس من السهل الوقوف عليها مجموعة، فهي نتيجة معرفة عميقة وأبحاث واطلاعات وتحقيقات ومراسلات واستفسارات وتنقيب في فهارس المكتبات الشهيرة في العواصم الغربية.

ثم يضيف قائلاً: إنه مدين في هذه المعلومات إلى الأستاذ الدكتور حميد الله الذي يملك كل الترجمات الموجودة في العالم [1].

وقد أورد الدكتور البنداق في كتابه لائحة تفصيلية بأسماء بعض اللغات الشرقية والغربية التي ترجم إليها القرآن الكريم ترجمة كاملة أو عدة ترجمات باللغة ذاتها بلغ مجموعها 124 لغة، كما يورد لائحة بلغات الشعوب التي ترجمت إليها معاني سورة الفاتحة وبلغ مجموعها 36 لغة شرقية وغربية.[2]

الغاية من ترجمات القرآن في المراحل الأولى إلى اللغات الأجنبية:

---

[1] انظر: المصدر السابق، ص:106 وما بعدها بتصرف.

[2] مناهل العرفان، ج2، ص:3.

[1] انظر: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص : 153 وما بعدها.

[2] انظر: المصدر السابق، ص:184 وما بعدها بتصرف و ص:190 وما بعدها بتصرف.

من المؤكد أن مشروع ترجمة القرآن الكريم في الغرب في مراحله الأولى كان يدخل ضمن المخطط المعد والموجه بتوجيه وإشراف مباشرين من رجال الكنيسة، والرامي إلى تقديم صورة مشوهة عن الإسلام، حيث وقفت الكنيسة سداً منيعاً، فحشدت كل إمكانياتها المادية والمعنوية للحيلولة دون اطلاع الشعوب الأوربية على حقيقة الإسلام كتابه ورسوله وأهله خوفاً من انتشار الإسلام بين تلك الشعوب، فحاولت جاهدة بشتى الوسائل محاصرة الإسلام بحجب رؤية وسماع ما جاء في كتابه، وذلك بالإقدام على ترجمته ترجمة مزيفة مشفوعة بالتعليقات والشروح والمقدمات التي تخدم معتقدات رجال الكنيسة وتوجهاتهم ومصالحهم وتقدم أبشع صورة عن القرآن والإسلام ورسوله.

إن هذا المخطط بدأه رجال الكنيسة بعد الحروب الصليبية وربما في أثنائها بهدف تشويه تلك الصورة الإيجابية التي تعلقت بأذهان المحاربين الأوربيين الراجعين من تلك المعارك في الشرق. تلك الصورة المعبرة عن سماحة الإسلام في التعامل مع الغزاة، مما أزعج رجال الكنيسة ودفعهم إلى العمل على مقاومة الإسلام وتشويه صورته بالقلم والكتابة عنه بدلاً من السلاح الذي لم يجدهم نفعاً ولم يحقق هدفهم، وذلك عن طريق ترجمة القرآن الكريم بالشكل الذي يحقق أهدافهم. فالمنطلق في ترجمة القرآن كان لحساب التبشير على أساس إعطاء الغربيين القدرة للتعرف على الجوانب التي يستطيعون منها مهاجمة الإسلام، ومجادلة المسلمين، ومن هنا نرى أن جميع المستشرقين المغرضين الذين كتبوا بحوثهم عن الإسلام فيما بعد اعتمدوا هذه الوجهة وهذه الوسيلة، فكانت منطلقاتهم جميعاً الادعاء بنصرانية الأصل أو يهودية الأصل الذي استقى منه القرآن مادته، وما القرآن إلاّ من صنع محمد، وأنه متناقض، وليس بكتاب من عند الله .

وقد قيل أن ترجمة بطرس المحترم ظلت محمولة على أكتاف المبشرين المتحمسين يقتبسون منها، وينقلون عنها ما يساعدهم على بث الروح الصليبية، ومحاربة الإسلام، فظلت هذه الترجمة عدة قرون مصدراً للاقتباس لتحقيق الأغراض المتعددة... وكانت حافلة بالأكاذيب والأباطيل، وذكر أن السبب في تأخير طبع هذه الترجمة أربعة قرون كان الخوف من انتشار الإسلام بانتشار القرآن بين أهليهم رغم ما وضعوه من افتراءات وأباطيل في ترجمتهم[1].

كان عن هدف الغربيين من ترجمة القرآن الكريم هو محاربته كما يقول دكتور محمد صالح

وانطلقوا من فكرة ترجمة القرآن الكريم صراحة لدحض المبادئ الإسلامية وتفنيدها، وقد فعلوا ذلك بروح رجعية متزمتة قوامها معاداة الإسلام، ولنا على ذلك مثل في الترجمة الإسبانية التي وضعها "موركيوندو" وعنوانها هكذا بكل صراحة: "القرآن مترجمٍ بأمانة إلى الإسبانية ومعلقاً عليه ومدحضاً طبقاً للعقيدة والتعاليم المقدسة والأخلاق الكاملة للدين الكاثوليكي المقدس الرسولي الروماني" [1] .

---

[1] انظر: مجلة كلية أصول الدين، ص:46 وما بعدها بتصرف.

[1] المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص:104.

لقد خافوا من انتشار الإسلام فاندفعوا نحو الترجمة الكيفية لا الصحيحة والعلمية أو حتى النسبية لحد ما إمعاناً في التحريف والتضليل خوفاً من أن يعتنق الإسلام من يقف من الأوربيين على حقيقة النصوص القرآنية فيما لو حصل على ترجمة صادقة أو صحيحة[2].

القصور في ترجمة القرآن الكريم :

إن الغربيين والمستشرقين منهم على وجه الخصوص ترجموا القرآن ترجمات ناقصة كثيرة التحريف والتشويه لأن المترجمين منهم لم يستطيعوا فهم النصوص القرآنية، وظلت صعوبة اللغة العربية دون فهمهم الإسلام بشكل عام، وتقديرهم الإعجاز القرآني بشكل خاص، حتى أن الكاتب الإنكليزي المعروف باعتداله وإنصافه تجاه رسول الإسلام "كارليل" يقول في مقدمة "كتاب الأبطال وعبادة الأبطال" عن القرآن الكريم: إنه كلام ركيك ثقيل على النفس، لولا ما يحتمه الواجب العلمي على الدارس الأوربي ما استطاع صبراً على قراءته[3].

فإذا كان القرآن الكريم – وهو المعجزة الكبرى في قمة الفصاحة والبلاغة العربية والتي تحدى بها محمد عليه الصلاة والسلام العرب والناس أجمعين – يبدو في نظره سقيما متهافتاً فكيف يمكن القول بأنه وأمثاله يفهمون العربية وفنونها وأساليبها، أو يؤخذ برأيهم في شيء يستخلصونه من نصوصها ؟!

يؤكد بعض المستشرقين أن المترجمين للقرآن الكريم هم من الطبقة الثانية أو الثالثة أو الرابعة بالنسبة للملمين منهم باللغة العربية. يقول في ذلك الدكتور البنداق: "إن أحرار النبلاء من المستشرقين الذين تعمقوا بعلوم اللغة العربية يؤكدون ومنهم فيشر "Fischer" : أن أغلب مترجمي القرآن مستعربون من الطبقة الثانية بل ومنه من هم من الطبقة الثالثة والرابعة.[1].

1- أقوال العلماء المسلمين حول القصور في ترجمة القرآن الكريم:

يتحدث الدكتور محمد حسين الصغير عن التفاوت بين الفهم الاستشراقي للقرآن وواقع الفهم الإسلامي له قائلاً: "إن الفهم الذي عالج به المستشرقون القضايا القرآنية يبتعد كثيرا عن الفهم الذي نعالجها به نحن، فالدراسات البلغرافية – هدف مركزي، وضبط الوقائع التاريخية مهمة جديرة بالبحث، واختلاف القراءات يستأهل العناية. وكيفية الوحي قضية تثير الشكوك أحياناً، وكتابة القرآن وتدوينه مسألة علمية دقيقة. أما نواحي الإعجاز فهي مما يخص المسلمين، وقضايا البلاغة شؤون عربية قد لا يحسنها غير العربي الأصيل. وجرس الألفاظ لا تعيها إلا أذن بدوية، والالتفات من الفنون البديعية التي ترتبط بالبلاغة العربية، والتفسير الجزئي أو الكلي الموضوعي لا سبيل له في مفهوم المستشرقين، لأن القرآن كتاب هداية وإرشاد وتشريع للمسلمين لا للمستشرقين.[2] .

---

[2] المصدر السابق، ص:104.

[3] انظر: كتاب الأبطال، ص:26 وما بعدها.

[1] المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص:51.

[2] المستشرقون والدراسات القرآنية، ص:75-76.

ويضيف الدكتور الصغير إلى ذلك قوله في معرض رده على غوستاف لوبون الذي زعم أن القرآن قليل الارتباط فاقد السياق كثيراً: أما سبب خطأ لوبون فيعود إلى جهله غير المتعمد – كما يقول الدكتور الصغير – بكنه النظم القرآني، وارتباط الآية بما قبلها وما بعدها، وانتهاء الموضوع للبدء في موضوع آخر، ومواكبة الغرض الفني للغرض الديني بلاغياً وتشريعياً، ودقة الالتفات من الغيبة إلى الحضور، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الإفراد إلى الجمع وبالعكس، ومن المضمر إلى المظهر، مما لا يكاد يحسن فهمه الدقيق إلاّ العربي المحض أومن تمرس باللغة ذوقاً ولساناً وإحال [1].

أما الدكتور البنداق فيتناول أيضا الأسباب التي أوقعت المترجمين في أخطاء كثيرة فيقول عن هذه الأسباب: إن عمل هؤلاء المستشرقين لم يكن قائماً على مبدأ العمل المتجرد والبحث العلمي النزيه والمنزه عن الأهواء، وكيف يكون عملهم كذلك ومعظمهم فاقد لهذه الميزة العلمية النبيلة؟! وفيما يلي نقاط تتناول مستواهم اللغوي وعدم أهليتهم، وما يصدرونه من أحكام، وما يضمرونه من آراء مغرضة وما يتصفون به من انحراف علمي. وهذه النقاط:-

1- ثبت بما لا يقبل الشك أن فئة من المستشرقين الذين يدعون العربية هم في الواقع لا يحسنونها، وهذا نقص فادح في مستلزمات العمل العلمي، ومع هذا فهم يتصدون لترجمة أعظم كتاب في الوجود وهو القرآن الكريم.

2- إن المستشرقين يصدرون أحكاماً على القرآن، ومع هذا الجهل باللغة العربية، فتراهم يتصدون إلى نصوص القرآن الكريم بالذات ليصدروا أحكامهم على لغته وأسلوبه.

3- إن الرغبة الموجودة لدى معظمهم في هدم كيان اللغة فضلاً عن عملهم لهدم المبادئ الإسلامية جعلتهم يستنبطون نظريات فاسدة خاطئة، ويطلعون بآراء مغرضة موجهة ضد اللغة العربية لغة القرآن، وهذا دليل على انحرافهم العلمي دون ريب.

4- إن هؤلاء المستشرقين التزموا بحرية الترجمة، فجاءت ترجمتهم استجابة لأهوائهم، فعمدوا إلى التصرف في النصوص عن طريق التقديم والتأخير والإهمال والتحوير إلى غير ذلك.

5- إن هؤلاء رفعوا لواءً هدّاماً بقولهم: إن في القرآن ما ليس منه، أو أن القرآن لا يمثل ذروة الفصاحة والبلاغة في اللغة العربية [1] .

أما السيد محمد رشيد رضا فيذكر هو الآخر الأسباب الحائلة دون فهم الأجانب للقرآن الكريم بقوله:-

1- جهل بلاغة اللغة العربية التي بلغ فيها القرآن ذروة الإعجاز في أسلوبه ونظمه وتأثيره.

2- قصور الترجمات وضعفها، فإن الترجمات القرآنية التي يعتمدها الأوربيون في فهم القرآن قاصرة عن أداء معانيه التي تؤديها عباراته العليا وأسلوبه المعجز للبشر. ومن الثابت أن بعض المترجمين تعمدوا تحريف كلمه عن مواضعه، على أنه قلما يكون فهمهم تاماً صحيحاً، ويكثر هذا فيمن لم يكن مؤمناً به، بل يجتمع في كل منهم قصوران: قصور فهمه، وقصور لغته، ويقول: "لقد اعترف لي ولغيري بهذه الحقيقة مستر "محمد" مارمادوك – أول مترجم إنكليزي مسلم –

---

[1] انظر: الصدر السابق، ص:87.

[1] انظر: المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، ص:98 وما بعدها بتصرف.

الذي ترجم القرآن إلى اللغة الإنكليزية، كما اعترف بذلك قبله الدكتور ماريديش المستشرق الفرنسي الذي كلفته وزارتا الخارجية والمعارف الفرنسيتان ترجمة 62 سورة من الطوال والمئين والمفصل.

3- أسلوب القرآن المخالف لجميع أساليب الكلام. العربي وغيره، وطريقته في مزج العقائد والمواعظ والحكم والأحكام والآداب بعضها ببعض في الآيات المتفرقة في السور، كان حائلاً دون جمع كبار علماء المسلمين من المفسرين وغيرهم لكل نوع من أنواع علومه ومقاصده في باب خاص به، وقد حاول بعض الإفرنج جمع آياته بحسب معانيها ووضع كل منها في باب خاص بقدر فهمه إلا أنه أخطأ في كثير من هذه المعاني، وقصر في بعض مما علمه، وما جهله منها أعظم.

4- الإسلام ليس له دولة تقيم القرآن وسنة الرسول (ρ) ، وتتولى نشره بالعلم، ولا جماعات دينية تتولى بحمايتها الدعوة إليه بالحجة، وليس له مجمع ديني علمي يرجع إليه في بيان معاني القرآن وهدايته في سياسة البشر ومصالحهم العامة التي تتجدد لهم بتجدد الحوادث ومخترعات العلوم والفنون.

ثم ينهى السيد حديثه عن ذلك بقوله: فهذه أظهر الأسباب لخفاء حقيقة الإسلام الكاملة على علماء الحضارة العصرية من الأجانب ومن المسلمين [1] .

- أقوال المستشرقين حول قصور ترجمة القرآن الكريم:

من بين المستشرقين نرى من يعترف بصعوبة ترجمة القرآن وقصورها عن الوفاء بمعانيه وأغراضه وبأنها تشوه كلماته، وبأنها تذهب بأكثر جمال الصنعة وحسن الصياغة، وتفقد الآيات بلاغتها.

من هؤلاء المستشرق "الفريد جيوم" الذي يقول: القرآن من النصوص الأدبية العالمية التي لا يمكن ترجمتها دون أن تفقد قيمتها، ففيه جرس له جمال عجيب، وتأثير تطرب له الآذان، وكثير من المسيحيين العرب يتحدثون بإعجاب شديد عن أسلوبه. وقد أخذ أكثر المستشرقين بروعته، وحينما يتلى القرآن نجد أن له تأثيراً ساحراً يجعل المستمع لا يلقي بالاً إلى تركيب جمله العجيب أو إلى ما يحتويه - في بعض الأحيان – من مسائل تزهدنا فيه نحن المسيحيين، وهذه الصفة التي للقرآن بما تجعل في لغته من رنة حلوة، والتي تخرس أي نقد له، وقد أدت إلى نشوء الاعتقاد بأن القرآن لا يمكن محاكاته. والحقيقة المؤكدة أنه ليس في الأدب العربي – على خصوبته واتساعه في النثر والشعر – ما يمكن مقارنته به [1] .

أما المستشرق "جب" فيذهب إلى القول بأنه لا يمكن ترجمته بشكل أساسي حينما قال: الواقع أن القرآن لا يمكن ترجمته بشكل أساسي كما هي الحال بالنسبة للشعر الرفيع، إذ ليس بالإمكان التعبير عن مكنون القرآن باللغة العادية، ولا يمكن أن يعبر عن صوره وأمثاله، لأن كل عطف أو مجاز أو براعة لغوية يجب أن تدرس طويلاً قبل أن ينبثق المعنى للقارئ، وفي القرآن كذلك صور تلعب فيها موسيقى النغم دوراً لا يمكن تحديده، لأنها تعد بسحرها أفكار الشخص الذي

---

[1] انظر: الوحي المحمدي، ص:24 وما بعدها بتصرف.

[1] الإسلام، جيوم، ص:74.

يصغي إلى القرآن لتلقي تعاليمه. ولا شك أن تأويل كلمات القرآن إلى لغة أخرى لا يمكن إلا أن يشوهها، ويحول الذهب النقي إلى فخار، إذا لم يألف المرء مدة طويلة لغة الكتاب المراد ترجمته، كما هي الحال بالنسبة للترجمات إلى اللغتين اللاتينية والإنجليزية للكتب العبرية واليونانية، فإن الترجمة تبدو فارغة لا تعبر عن روح الأصل، وإذا أردنا أن نترجم مثلاً إلى اللغة الإنكليزية هذه الآية الموجزة البسيطة (**إنا نحن نحي ونميت وإلينا المصير**) فإنه يتوجب علينا لأداء المعنى أن نعيد كلمة "نحن" خمس أو ست مرات، الأمر الذي يناقض المحافظة على بلاغة الآية [2] .

أما "موريس بوكاي" فيتحدث عن سبب أخطاء الترجمة متسائلاً ومجيباً بقوله: "ما سبب أخطاء الترجمة...؟

إنها ترجع إلى أن المترجمين المحدثين يستعملون في أحيان كثيرة ودون روح نقدية كافة تفسيرات المعلقين القدامى الذين لم يكن باستطاعتهم فهم المعنى الفعلي للكلمة أو للجملة، فهناك من المعاني ما لم يظهر إلا في أيامنا فقط بفضل معارفنا العلمية حيث نملك الآن العناصر التي تستطيع أن تعطي المعاني الحقيقة. أما فيما يتعلق بنصوص التوراة والإنجيل فليس هناك مشاكل ترجمة من هذا النوع، فالحالة التي نستشهد بها هنا تخص القرآن وحده.[1] .

أما المستشرق "كارليل" فهو الآخر يؤكد أن الترجمة تذهب بجمال الأصل وحسن صياغته وفهم المراد منه على الوجه الصحيح فيقول: إن الترجمة تذهب بأكثر جمال الصنعة وحسن الصياغة، ولذلك لا عجب إذا قلت: إن الأوربي يجد قراءة القرآن أكثر عناء فهو يقرؤه كما يقرأ الجرائد، لا يزال يقطع في صفحاته قفاراً من القول الممل المتعب، ويحمل على ذهنه هضاباً وجبالاً من الكلام لكي يعثر من خلال ذلك على كلمة مفيدة، أما العرب فيرونه على عكس ذلك لما بين آياته وبين أذواقهم من الملاءمة، ولأنه لا ترجمة ذهبت بحسنه ورونقه، فلذلك رآه العرب من المعجزات، وأعطوه من التبجيل ما لم يعطه أتقى النصارى لإنجيلهم، وما برح في كل زمان ومكان قاعدة التشريع والعمل والقانون المتبع في شؤون الحياة ومسائلها، والوحي المنـزل من السماء هدى للناس وسراجاً منيراً يضيء لهم سبل العيش ويهديهم صراطاً مستقيماً، ومصدر أحكام القضاة، والدرس الواجب، على كل مسلم حفظه والاستنارة به في غياهب الحياة [2] .

وغاية القول هنا أنه مهما يكن الأمر فإن الترجمة الحرفية أو اللفظية الموفية بالبلاغة والمعاني الأهداف كما في الأصل مستحيلة التحقيق سواء بالنسبة إلى علماء المسلمين أو غيرهم من الأجانب لاستحالة الوفاء بمتطلبات هذه الترجمة اللفظية أو الحرفية.

أما الترجمة التفسيرية أو المعنوية فإن المستشرقين وغيرهم يفتقرون فيها إلى معرفة اللغة العربية وفنونها وأساليبها معرفة تامة، إضافة إلى جهلهم بالعلوم الإسلامية التي يستعان بها في فهم النص القرآني ثم تفسيره كعلوم القرآن الكثيرة وأصول الفقه وغيرها من العلوم التي لا غنى عن معرفتها لمفسر أو مترجم لكتاب الله تعالى. الأمر الذي يجعلهم في

---

[2] الاتجاهات الحديثة في الإسلام، جب، ص:30-31. .

[1] انظر: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس بوكاي، ص:143 وما بعدها.

[2] الأبطال، ص:60.

غير منأى عن الوقوع في أخطاء جمة وهم يتصدون لترجمة القرآن الكريم. لذا يمكن اعتبار ترجمات هؤلاء للقرآن الكريم ترجمات ناقصة.

ومما يدل على ذلك أن كل ترجمة من ترجمات القرآن يصرح صاحبها بأنها ناقصة وليست مستوفية باعتبار أن القرآن نـزل بالعربية على محمد (ρ) وهو يترجمه إلى لغة أخرى، فكل ترجمة لا تتجاوز كونها شيئاً تقريبياً لمعاني القرآن ولا تشكل كل معانيه.

عينات من ترجمات تكشف عن أخطائها:

لقد اتضح من دراستنا السابقة أن الترجمة إنما هي التعبير عن النص الأصلي بنص آخر دون الإخلال بمعانيه ومقاصده.

كما اتضحت أيضاً صعوبة الترجمة الحرفية أو اللفظية بل تتعذر وتستحيل هذه الترجمة مع الحفاظ على خصائص النص الأصلي النظمية والبلاغية والأسلوبية وغير ذلك. لذلك صعبت ترجمة النصوص الأدبية المشهورة ترجمة حرفية حقيقية.

فكيف لا تكون هذه الترجمة ناقصة بل مستحيلة بالنسبة إلى القرآن الكريم لسبب بسيط وهو عدم مساواة اللغات الأجنبية مع لغة القرآن في المفردات والتراكيب والأساليب ودقة التعبيرات البلاغية...

فمع استحالة الترجمة اللفظية للقرآن الكريم فقد قام كثير من المترجمين الأجانب بنقل القرآن حرفياً إلى لغاتهم.

فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هل وفق هؤلاء في ترجمتهم من غير إخلال بالمعاني وتحريف في النص القرآن؟.

للإجابة على هذا السؤال نورد فيما يأتي أمثلة من ترجماتهم للنص القرآني للقطع من خلالها بأن ترجمة القرآن الحرفية مستحيلة ومتعذرة وأنها في حال وقوعها لا تسلم من الإخلال بمعاينه أو تحريف في نصه أو لا تسلم من الاثنين معاً في بعض النصوص.

من تلك العينات:

ترجمة حرفية محرفة لقوله تعالى : (**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**) [1].

فالمرض الوارد في الآية إنما المقصود منه هو الشك والنفاق، أو الجهل والجبن والبخل وغيرها من الرذائل الخلقية.[2] ولا يراد منه المعنى الحقيقي للفظ وهو الحالة المعروفة التي تصيب الجسم. لكن المترجمين ترجموا "المرض" ترجمة حرفية " "a disease فلم تعط المعنى المقصود من الآية.

---

[1] سورة البقرة، آية :10.

[2] انظر: المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، ص:466 مادة "مرض".

قال عبد الله يوسف على في ترجمة الآية:

"In their hearts is disease, and God has increased their diseases"

إنها ترجمة مساوية تماماً للألفاظ العربية لكنها لا تعطي المعنى المقصود من الآية ولا تفي بالغرض المطلوب، والترجمة نفسها وبألفاظ مترادفة وردت في ترجمة كل من عبد الحميد صديقي وأرثر جفري للآية الكريمة[3].

مثال آخر:

قال تعالى : (**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ**) [1] يقول الدكتور أبو فراخ: لقد عجزت الترجمات الحرفية عن تصوير قوله تعالى"**فما فوقها**" في الآية الكريمة حيث جاءت الترجمة هكذا:

"Verily Allah does not disdain to propound a similitude of gnat, or of something even above that"

لقد وضعت هذه الترجمة مرادفة حرفية للفظ "فوق" هو "above" مع أن المراد قد يكون العكس، فمعنى "فما فوقها" في الآية فما دونها في الصغر. إذن فكلمة فما فوقها تحتمل التفسيرين في النص العربي، وليس هنا من موجب لأن تحمل على أحد المعنيين فقط. أما ترجمة يوسف علي الحرفية فقد جاءت خالية من ذكر (البعوضة) وربما قد استحى أن يذكرها في ترجمته.[2]

مثال آخر: (من آياته الجوار في البحر كالأعلام) [3].

ترجمة هذه الآية: "And of his signs are the ships that run on sea like land marks"

إنها ترجمة حرفية لكل لفظ على حدة بالإضافة إلى تصويرها ظاهراً للفظ حين ذكرت أن الأعلام هي "land marks" مع أن المراد بها: الجبال الشاهقة، جاء في المفردات للراغب[4] العلم الأثر الذي يعلم به الشيء كعلم الطريق وعلم الجيش، وسمي الجبل علما كذلك وجمعه أعلام قال تعالى: (**إ من آياته الجوار في البحر كالأعلام**) وفي أخرى (**إ وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام**)

مثال اخر: ترجم آرثرجفري "الخير"في قوله تعالى: (**وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**) [1] على أن الخير هو الأعمال الصالحة حين قال: "Surly he is passionate in his love for good things" ولكن المراد بالخير هنا "المال" حيث يستحيل أن يحب المنافق الصالحات "good things" لذلك كان تفسير الإنسان ببعض أفراده في قوله: (**إن الإنسان لربه لكنود**)

---

[3] انظر: مجلة كلية أصول الدين، العدد الخامس، بحث للدكتور أبي فراخ، ج2، ص:88 وما بعدها.

[1] سورة البقرة، الآية:26.

[2] انظر: مجلة كلية أصول الدين، العدد الخامس، ص:90.

[3] سورة الشورى، الآية: 3 .

[4] المفردات، الأصفهاني، ص:344 مادة "علم".

[1] سورة العاديات، الآية: 8.

في نفس الآية ملائماً تمام الملائمة لما وصف به من حب المال، فالمراد بالإنسان بعض أفراده.[2] جاء في المفردات للراغب الأصفهاني أن المقصود بالخير في الآية المال الكثير [3].

مثال آخر قال تعالى: (**وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً**) [4] .

ترجم آرثرجفري الآية غير مبين موصوف الصفة "مبصرة" المقدر وهو "آية" مما يجعل الناظر يظن أن المراد أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء، مع أن المراد أن الله جعل الناقة آية مبصرة بينة أي معجزة، لكن المترجم قام بنقل الظاهر فقال: "she-camel-visible"[5] .

مثال آخر:

قال تعالى: (**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**) [1] ترجم هاشم أمير علي الآية ترجمة غير صحيحة حينما استعمل المرادف الإنكليزي: "con firmar of the Apostles" وقابل به كلمة "خاتم النبيين" ومعنى المرادف هذا لكمة "خاتم النبيين" "مؤكد الأنبياء" أو "مؤيد الأنبياء" فيما جاءوا به، شاهد على صدق الأنبياء قبله وصدق ما قالوه، أو هو مثال للرسل، مما يدل على أن المرادف الذي أعطاه المترجم لكمة "خاتم النبيين" القرآنية ليس صحيحاً على الإطلاق، فلم يفسرها أحد بما فسر به هاشم أمير علي، والسبب في ذلك هو أن المترجم أراد أن يترجم الكلمة بما يتماشى مع معتقده ومعتقد غيره من الأحمديين والقاديانيين والبهائيين بإثبات النبوة لميرزا غلام أحمد، ولمن يشاءون من بعده. هكذا حرف الكلمة في أثناء ترجمته لكي يؤيد معتقده القائم على أن النبي محمد (ρ) لم يكن النبي الذي اختتمت به النبوات.[2] قال الراغب: "خاتم النبيين" لأنه ختم النبوة أي تممها بمجيئه فلا نبوة بعده.[3]

مثال آخر:

المترجمون قد يحرفون الكلم في أثناء ترجمتهم لكي توافق معتقدهم التثليثي، كما فعلوا في أثناء ترجمتهم لكمة "عبد" التي تعني في اليونانية "خادماً" أو "طفلاً" على حد سواء، فترجموها في قوله تعالى على لسان عيس عليه السلام (**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً**) [4]. إلى "ابن" إذ

---

[2] انظر: مجلة كلية أصول الدين، ص: 90 وما بعدها.

[3] انظر: مادة "خير"، ص:160.

[4] سورة الإسراء، الآية: 59.

[5] انظر: مجلة كلية أصول الدين، العدد الخامس، ص: 95.

[1] سورة الأحزاب، الآية: 40.

[2] انظر: مجلة كلية أصول الدين، العدد الرابع، ص: 118 وما بعدها.

[3] المفردات في غريب القرآن، ص: 143 مادة "ختم".

[4] سورة مريم، الآية:31.

أنه من السهل تحريف طفل إلى ابن، وهذا ما كان منهم فعلاً من ترجمة قول عيسى في الآية إلى"إني ابن الله" تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وبنوا ذلك على عقيدتهم النصرانية.[1] .

مثال آخر:

قال تعالى: **(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)** [2].

فالمفسرون المسلمون وعلماؤهم مجمعون على أن ما جاء في الآية الكريمة يؤكد عمومية رسالة محمد (ρ) لجميع الناس أي لمختلف أمم وشعوب الأرض. أما ترجمة داود فإنها قلبت هذا المعنى، وجعلت رسالته خاصة بالعرب حين ترجم الآية كما يأتي: "Say to your people: I am sent forth to you all by Allah" وذلك بإضافة عبارة "your people" أي قومك، فعلى هذا تكون الرسالة مقتصرة على العرب وحدهم دون غيرهم.[3] .

نكتفي بهذا القدر المحدود من الأمثلة كعينات في معرض الاستدلال على تعذر الترجمة الحرفية واستحالتها، وعلى الأخطاء الكثيرة التي وقع فيها المترجمون نتيجة عدم إلمامهم الكافي باللغة العربية وفنونها، والعلوم الإسلامية الضرورية لفهم كلام الله، وعدم اعتمادهم على تفاسير علماء المسلمين، لذا يبدو للباحث أن المترجمين الذين اعتمدوا على تفاسير المسلمين هم أقل أخطاء وأكثر صواباً في ترجماتهم مثل محمد مارمدوك وعبد الله يوسف علي، والدكتور محمد تقي الدين الهلالي والدكتور محمد محسن خان وغيرهم.

ونحن من طرفنا لا نستطيع القول بأن الترجمات منها ترجمات لفظية أو حرفية لأنها ضرب من المحال، ومنها تفسيرية، لذا فكلها تدخل في نطاق الترجمة المعنوية أو التفسيرية ليس إلا. وأن تسمية بعضها بأنها لفظية لا تغير من هذه الحقيقة، فكل الترجمات تبقى تفسيريه، هذه الترجمات تتفاوت فيما بينها من حيث الصحة والفساد، وعلى الرغم مما في ترجمات المسلمين للقرآن من قصور إلى حد ما إلا أنها جاءت مختلفة عن ترجمات غير المسلمين أسلوباً ومنهجاً وطبيعة فهي معبرة عن صدق النية والإخلاص لدين الله ولكتابه، وهي بالتالي لا تخرج عن الحقائق التي جاء بها القرآن الكريم في نصه مثل ترجمة المسلم الإنكليزي "محمد" مارمدوك بكثال وعبد الله يوسف علي والدكتور محمد تقي الهلالي ومحمد محسن خان وغيرهم.

ويمكن القول: "إن الترجمة التفسيرية- التي هي بيان معنى الكلام بلغة أخرى من غير تقيد بترتيب كلمات الأصل أو مراعاة نظمه- هي وحدها تراعي الدقة الكاملة في فهم النص، وبيان الاحتمالات الواردة فيه تبعا لوجود الأدلة الدالة على هذه الاحتمالات حيث لم يرد نص صريح في ذلك".

وبما أن هذه الترجمة التفسيرية لا تنقل كلمات القرآن نقلا حرفياً لاستحالة ذلك علمياً، فهي الجديرة في الأخذ بها لبيان المراد من الآيات القرآنية قدر الطاقة البشرية حتى ينتفع بها المسلمون الأجانب، ويعرفوا عن طريقها عقيدة الإسلام وشريعته إجمالاً وتفصيلاً حيث تتعذر عليهم معرفة ذلك في النص العربي، فمن الممكن وضع تفسير مبسط وموجز للقرآن

---

[1] انظر: مجلة كلية أصول الدين، العدد الخامس، ص: 83.

[2] سورة الأعراف، الآية: 157.

[3] انظر: مجلة المورد، العدد الربع، مقالة عزير عارف، ص: 116.

الكريم باللغة العربية لا يحتمل اتجاهات معينة من قبل لجنة معتمدة ومتخصصة من علماء الإسلام واللغة والعلوم المختلفة حيث يوجد من الآيات ما يستدعي استخلاص معاني علمية منها، ولا يفي بها البحث اللغوي وحده، ثم يترجم هذا التفسير إلى لغات مختلفة، وستفي هذه الترجمات وبهذا الشكل بالغرض المنشود، كما أنها ستصحح الأخطاء التي وقع فيها معظم المترجمين من المستشرقين الذين حرفوا الكلم عن مواضعه بقصد أو بغير قصد، وبهذا يقدم أعظم خدمة للدعوة الإسلامية، لعل الله تعالى يهدي بها من يشاء من الأجانب من غير المسلمين بنور هدايات القرآن إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

لتحقيق هذا الهدف يجب أن تتولى هذه المهمة مهمة ترجمة القرآن الكريم ترجمة تفسيرية نخبة من علماء المسلمين يتميزون بالتقوى والصلاح وسعة العلم والاطلاع على اللغة العربية وفنونها وكل العلوم الإسلامية والعلوم الأخرى ذات صلة بما جاء في القرآن من العلوم الكونية والطبيعية، وبمعرفة تامة باللغات التي تراد ترجمة القرآن إليها، ويقدرون ضخامة المسؤولية الملقاة على عواتقهم أمام الله تعالى ورسوله والمسلمين، وهم يقومون بترجمة تفسير أعظم كتاب عرفه التاريخ وهو القرآن الكريم.

المراجع :

1- الأبطال/توماس كارلايل/ترجمة محمد السباعي/الدار القومية للطباعة والنشر/المؤسسة المصرية العامة للأنباء والنشر والتوزيع والطباعة.

الاتجاهات الحديثة في الإسلام/هـ.ا.ر.جب/تعريب جماعة من الأساتذة الجامعيين/مشورات المكتب التجاري/بيروت-لبنان.

2- الإسلام في الفكر الغربي/د. محمود حمدي زقزوق/دار القلم-الكويت/الطبعة الثانية 1401هـ-1981م.

3- الإسلام/ألفريد جيوم/ترجمة محمد مصطفى هداره ودكتور شوقي اليماني/مكتبة النهضة المصرية/الطبعة الأولى 1959م.

4- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة/موريس بوكاي/دار المعارف-لبنان.

5- سيرة الرسول في تصورات الغربيين، جوستاف بفانموللر، ترجمة الدكتور محمد حمدي زقزوق "البحرين: مكتبة ابن تيمية، ط1، 1406هـ/1986م".

6- القرآن نـزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره/ريجيس بلاشير/درا الكتاب العربي-بيروت/الطبعة الأولى 1974م.

7- مجلة "المورد" المجلة السابع عشر – العدد الرابع 1409هـ=1988م/العراق.

8- مجلة المنارا لسيد رشيد رضا/مطبعة منار/الطبعة الأولى1350هـ=1932م.

9- مجلة كلية أصول الدين/المملكة العربية السعودية/جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ العدد الرابع 1403هـ والعدد الخامس 1404هـ.

10- المستشرقون والدراسات القرآنية، محمد حسن الصغير "بيروت: المؤسسة الجامعية، ط1، 1403هـ/1983م".

11- المستشرقون وترجمة القرآن الكريم/د. محمد صالح البنداق/دار الآفاق الجديدة/بيروت/الطبعة الأولى 1403هـ=1983م.

12- المفردات في غريب القرآن/الراغب الأصفهاني/تحقيق محمد سيد كيلاني/مطبعة البابي الحلبي وأولاده-بمصر/الطبعة الأخيرة 1381هـ=1961م.

13- مناهل العرفان في علوم القرآن/محمد عبد العظيم الزرقاني/دار إحياء التراث العربي/بيروت-لبنان.

14- موسوعة المستشرقين/د.عبد الرحمن بدوي/دار العلم للملايين- بيروت-لبنان/الطبعة الثانية 1979م.